الرِّســـالة ١٨١

تبعَهُ مِنْ بَعيدٍ .. لِيَنظرَ النِّهَايَة!

(Arabic – Followed Him at a distance, to see the outcome!)

أحبّائِي.. حَديثَنَا اليَوْمَ مَوْضُوعُهُ: **تبعَهُ مِنْ بَعيدٍ .. لِيَنظرَ النِّهَايَة!**

ومِنْ إنجيل متى الأصْحَاح السَادِس والعِشْرِينَ نَقرَأ العَدَدَيْن السّابع والخَمْسينَ والثامِن والخَمْسينَ:

"والذينَ أمْسكوا يَسُوعَ مَضَوْا بهِ إلى قيَافا رَئيس الكهنَةِ حَيْثُ اجتمَعَ الكتبَة والشّيُوخُ.. وأمّا بُطرسُ فتبعَهُ مِنْ بَعيدٍ. إلى دَار رَئيس الكَهنَةِ. فدَخلَ إلى دَاخِلٍ وجلسَ بيْنَ الخُدّام. لِيَنظرَ النِّهَايَةِ!".[١]

نَحْنُ البَشَر لسنَا نسخَاً مُكرِّرَة. بلْ لِكلِّ وَاحِدٍ مِنّا شَخْصيتهُ القادِرَة على تكوين الرَأى الخَاص. والإرَادَة الحُرّة التِى بهَا يُعَبِّرُ عَنْ رَأيهِ بطريقةٍ مَا. ويَعْملُ مَا يقتنِعُ بهِ سوَاءَ جَهْراً أوْ سِرّا. لِذلِكَ كانَ كلُّ فردٍ مَسئولاً عَمّا يَصْدُرُ مِنْهُ. ولكِنْ ليْسَ كلُّ النّاس فِى مُستوَى واحِدٍ مِنَ الحِكمَةِ لِتكوين الرَأى الصّائِبِ السّديدِ. ولِيْسُوا فِى مُستوَى وَاحِدٍ مِنَ الشّجَاعَةِ لِلمُجَاهَرَةِ بالرّأى. أوْ تنفيذِ مَا اقتنَعُوا بصِحتِهِ. لأنّ صوَابَ الرَأى والشّجَاعَةِ فِى الوُقوفِ بجَانِبِ ذلِكَ الرّأى الصَائِب. يَستلزمَان مَا هُوَ أكثرُ مِنَ الحِكمَةِ البَشَريّةِ.[٢]

إنّ الحِكمَة البَشَريّة مَحْدُودَة ليْسَتْ كَامِلة وأحْيَانا تخُونُ صَاحبَهَا. ولِكى يَحْصُلُ المَرْءُ على الحِكمَةِ الكَامِلةِ. يلزَمُهُ مَعْرفة اللهِ والالتصَاقُ بهِ وَعَدَمُ الحيَدَان عَنْ طريقِهِ. فالذِى ليْسَ لهُ عَلاقة قويّة مَعَ خَالِقِهِ. انْحَرَفَ بَعيداً عَن الصّوَابِ فِى آرَائِهِ وأحكَامِهِ وسلوكِهِ. وأصْبَحَ عَاجزاً غَيْرَ قادِر على تكوين رَأى صَائِبٍ يُعينهُ على العَيْش فِى سَلام مَعَ اللهِ ومَعَ النّاس. لأنّ إبليسَ نَهّازٌ لِلفرَص وطالمَا وَجَدَ عِنْدَ الإنسَان مَيْلاً ولوْ ضَئيلاً لِلاستغنَاء عَنْ حِكمَةِ اللهِ. والارتكَان على ذاتِهِ والاستقلال بمَا يَرَاه هُوَ. نَصَبَ شبَاكَهُ ودَسّ السُّمّ فِى العَسل وبطعْم غَاشٍّ يَصْطَادُ فريستهُ. فهُوَ يَحتالُ بإقنَاع مَنْ يَنقادُ لهُ ويقعُ فِى شبَاكِهِ ليَرْتكِنَ إلى رَأى الأغلبيّةِ. قدْ يَهْمِسُ الضّميرُ مِنَ الدّاخِل مُنبهاً إلى الحَقِّ ولكِنّ البَاطِلَ يَأتيهِ صَارخاً فِى أذنَيْهِ. ولفترَةٍ يَبْقى الإنسَانُ مُوزّعاً بَيْنَ الحَقِّ والبَاطِل. فإنْ لمْ يتدَاركْ نفسَهُ بالرُّجُوع إلى اللهِ انسَاقَ بإرَادَةٍ مَشلولةٍ إلى مَا يُخَالِفُ هَمَسَاتِ الضّمير بدَاخِلِهِ تَابعاً لِرَأى الأغلبيّةِ. وبقلبٍ مَلأهُ إبليسُ بالخَوْفِ والجُبْن تراهُ يلجَأ إلى الكَذِبِ والنِفَاق ليُظهرَ مَا لا يُبْطِنُ حتى لا يَنكَشِفَ مَا بدَاخِلِهِ.

كانَت هذهِ مُشكِلة بُطرُسَ وَهُوَ وَاحِدٌ مِنْ تلاميذِ الرّبِّ يَسُوعَ وقدْ كَانَ اسْمُهُ يُذكرُ دَائِماً فِى المُقدِّمَةِ. تقمّصَ إبليسُ مَعَ أجْنَادِ الشّرِّ الرُّوحيّةِ شَخْصِيّاتِ القادَةِ الذينَ تبَوَأوْا المَرَاكِزَ الأولى دينيّاً واجتمَاعيّاً وَسيَاسيّاً. أمثال رُؤسَاءَ الكَهنَةِ وشُيُوخ الشّعْبِ اليَهُودِيّ وبيلاطسَ البنطِى الوَالى. وأعْطاهُمْ إبليسُ أدْوَاراً يقومُونَ بهَا على مَسْرَح المُحَاكَمَةِ. هذا بَعْدَ أنْ قامَ التلميذ الخَائِنُ يَهُوذا الاسْخَرِيُوطِيّ بدَوْرِهِ المَعْرُوف وأسلمَ يَسُوعَ بثلاثِينَ مِنَ الفِضّةِ. وقامَ بُطرُسُ أيْضاً بدَوْرِهِ بإنكَار مَعْرفتِهِ لِلرّبِّ يَسُوعَ. كَتبَ متى البَشيرُ فِى إنجيلِهِ عَنْ بُطرُسَ قائِلا: "وأمّا بُطرسُ فتبعَهُ مِنْ بَعيدٍ إلى دَار رَئيس الكَهنَةِ. فدَخلَ إلى دَاخِلٍ وجلسَ بيْنَ الخُدّام. لِيَنظرَ النِّهَايَةِ". حينَ يَرتكِبُ المُؤمِنُ مَعْصيّة يتخَبّط حَائِراً فِى العَالم المُظلِم لينْظرَ النِّهَايَةِ!. ومَا عَسَاهَا أنْ تكونَ النِّهَايَة. وَهُوَ يَخْطو دَرَجَاتِ سُلم هَابطٍ؟. وبالتأمُل فِى دَرَجَاتِ ذلِكَ السّلم الهَابطِ ولِنطلِقَ عليْهِ: سلّم تبَعيّةِ المَسيح مِنْ بَعيدٍ. نَجدُ أنّهَا ثلاثُ دَرَجَاتٍ لِلهُبُوطِ.[٣]

أولاً: <u>التآلفُ مَعَ أعْدَاءِ المَسيح لاكتفَاءِ شرّهِمْ</u>.. يَتحَدّثُ لوقا البَشيرُ فِى إنجيلِهِ عَنْ بُطرُسَ أنّهُ دَخَلَ فِى زُمْرَةِ أعْدَاءِ الرّبِّ مُخَالِطاً ومُعَاشِراً يلتمِسُ عَطفاً ودِفئاً بَيْنَهُمْ وليْسَ بالتوَاجُدِ فِى مَحْضَرِ الرّبِّ وشَرِكَةِ القديسينَ فِى وقتِ المِحْنَةِ. كتَبَ لوقا البَشيرُ يقولُ: ولمّا أضْرَمُوا نَاراً فِى وَسَطِ الدّار وجلسُوا مَعاً جلسَ بُطرسُ بينَهُمْ. مَضَتْ ثلاثُ سنَوَاتٍ وأكثرَ كانَ بُطرُسُ فيهَا مُرَافِقاً الرّبِّ فكيْفَ نَسيَهَا؟. كيف نَسِى جَبلَ التجلِى وظهُورَ مُوسَى وإيليّا لهُمْ ويَسُوعُ وقدْ أضَاءَ وَجْهُهُ كالشّمْس وصَارَتْ ثيابُهُ بَيْضَاءَ كالنور. وقتهَا قالَ بُطرُسُ: يَا رَبُّ جَيِّدٌ أنْ نكونَ ههُنَا.

---

[١] إنجيل متى ٢٦: ٥٨ ، استمع إلى الإنجيل

[٢] سفر أعمال الرسل ٤: ٢٩ – ٣١ ، رسالة يعقوب ١: ٥ & ٣: ١٧

[٣] إنجيل لوقا ٦: ١٢ – ١٦ ، إنجيل متى ٢٦: ٥٩ – ٦٧ & ٢٧: ٣ & ٩

نَسِى إشْبَاعَ خَمْسَة آلافٍ بخَمْس خُبزَاتٍ وسَمكتيْن. نَسِى بُطرُسُ كل هذا وتبعَهُ مِنْ بَعيدٍ ليَنظرَ النِّهَايَة! ولمّا جَاءَتْ النِّهايَة تذكّرَهُ وسَجلهُ فِى رسَالتِهِ الثانيَةِ قائِلاً: لأننَا لمْ نتبَعْ خُرَافاتٍ مُصنّعَة إذ عَرّفنَاكمْ بقوّةِ ربّنَا يَسُوعَ المَسيح وَمَجيئِهِ. بلْ قدْ كنّا مُعَاينينَ عَظمتَهُ لأنّهُ أخَذ مِنَ اللهِ الآبِ كرَامَة ومَجْداً إذ أقبلَ عليْهِ صَوْتٌ كهذا مِنَ المَجْدِ الأسنَى هذا هُوَ ابْنِى الحَبيبُ الذِى أنَا سُررْتُ بهِ ونَحْنُ سَمِعْنَا هذا الصَوْتَ مُقبلاً مِنَ السّمَاءِ إذ كنّا مَعَهُ فِى الجَبلِ المُقدّس.[1]

ثانياً: إنكَارُ مَعْرفةِ الرّبِّ والخَجلُ مِنَ الانتسَابِ إليْهِ.. مَنْ يتبَعُ يَسُوعَ مِنْ بَعيدٍ غَيْرُ مُؤهل لتقديم الشّهَادَة المُنَاسبَةِ فِى ذلِكَ الوَضْع غَيْر اللائِق وَصَمتهُ أفضلُ لأنّه فى وَضْع مُخْجل. كتبَ مُرقسُ البَشيرُ فِى إنجيلِهِ الأصْحَاح الرّابع عَشَرَ يقولُ: وبَينمَا كانَ بُطرسُ فِى الدّار أسفلُ جَاءَتْ إحْدَى جَوَارى رَئيس الكَهنَةِ فلمّا رَأتْ بُطرُسَ يَستدفِئ نظرَتْ إليْهِ وقالتْ: وأنْتَ كنْتَ مَعَ يَسُوعَ النّاصِرِىّ فأنكرَ قائِلاً: لسْتُ أدْرى ولا أفهَمُ مَا تقولينَ وخَرَجَ خَارجاً إلى الدّهليزَ فصَاحَ الديكُ فرأتهُ الجَارية أيْضاً وابتدَأتْ تقولُ لِلحَاضِرينَ: إنّ هذا مِنْهُمْ فأنكرَ أيْضاً.[2]

ثالِثاً: النزُولُ إلى مُستوَى اللعْن والحَلفِ والكَذِبِ.. هذا إذا فترَتْ مَحَبّة المُؤمِن لِمَنْ أحَبّهُ إلى المُنتَهى فليْسَ شَىْءٌ مِنْ ذلِكَ بمُستبْعَدٍ. كتبَ مُرقسُ البَشيرُ فِى إنجيلِهِ الأصْحَاح الرّابع عَشَرَ يقولُ: وبَعْدَ قليل أيْضاً قالَ الحَاضِرُونَ لبُطرُس حقاً أنْتَ مِنْهُمْ لأنكَ جليلِىٌّ أيْضاً ولغَتكَ تشْبهُ لغَتَهُمْ فابتدَأ يلعَنُ ويَحلِفُ: إنّى لا أعْرفُ هذا الرّجل الذِى تقولونَ عنْهُ. والآنَ نتأملُ دَرَجَاتِ السّلم الصّاعِد لِنعْرفَ كيْفَ نتبَعُ الرّبّ يَسُوعَ التبَعيّة الصَحيحَة.[3]

(١) كَلامُ الرّبِّ يُعيدُنَا إلى مَركَز القوّةِ.. يقولُ لوقا البَشيرُ: فالتفتَ الرّبُّ ونَظرَ إلى بُطرُسَ فتذكرَ بُطرُسُ كَلامَ الرّبِّ كَيْفَ قالَ لهُ: إنّكَ قبلَ أنْ يَصيحَ الدّيكُ تنكرُنِى ثلاثَ مَرّاتٍ. إنّ استرجاعَ بُطرُس لأقوَال الرّبِّ كانَ النورَ الذِى أخْرَجَهُ مِنَ الظلمَةِ. فخَرَجَ إلى خَارج وبكَى بكاءً مُرّا. ليتنَا فِى ضَعفِنَا نَعُودُ إلى كَلام الرّبِّ لِنَستَرشِدَ ونَستنيرَ ونتقوّى ونتشَجّعَ. وإنْ انتابَنَا إحْسَاسٌ بضَعْفٍ رُوحِىٍّ لِنسَارعَ إلى غِذاءِ الكَلِمَةِ المُنْعِشَةِ المُقويّةِ. فبإهْمَالِهَا نَخُورُ فِى الطريق. ولكنّنَا بكلّ كلِمَةٍ تخْرُجُ مِنْ فم اللهِ نَحيَا. قالَ دَاوُدُ النبىُّ: سِرَاجٌ لِرجلِى كَلامُكَ ونورٌ لِسبيلِى.[4]

(٢) الأغلبيّة ليْسَتْ دَائِماً على حَقٍّ.. قليلونَ الذين تبعُوا يَسُوعَ حتى الصليبَ. إنّ حِكمَة البَشَر تدْعُو إلى تبَعيّةِ الأغلبيّة لِنحذو حَذوَهَا خَوفاً مِنْ بَطش الأكثرية. ولكنْ لنتحَذرْ. لقدْ أرْسل مُوسَى النبىّ رجَالاً ليتجَسّسُوا أرْضَ كِنْعَان. عَشَرَة مِنْهُمْ عِنْدَ عَودَتِهمْ قالوا: لا نقدِرْ أنْ نَصعَدَ إلى الشّعْبِ لأنّهُمْ أشَدّ مِنّا. واثنَان فقط بَعْدَ عَوْدَتهمَا قالا إنّنَا نَصْعَدُ ونمتلِكهَا لأنّنَا قادِرُونَ عليْهَا والرّبُّ مَعَنَا لا تخَافوهُمْ. للأسَفِ أشَارَتْ الجّمَاعَة أنْ يُرْجَمَا بالحِجَارَةِ. ويُسَجلُ سِفرُ العَدَدِ: فمَاتَ الرِّجَالُ الذينَ أشَاعُوا المَذمّة الرّديئة على الأرْض بالوَبَأ. وأمّا يَشُوعُ بْنُ نون وكَالِبُ بْنُ يفنّة مِنْ أولئِكَ الذينَ ذهَبُوا ليتجَسّسُوا الأرْضَ فنَجَوْا. قالَ يَسُوعُ: لا تخَافوا مِنَ الذين يقتلونَ الجَسَدَ ولكِنّ النفسَ لا يقدِرُونَ أنْ يقتِلوهَا. بلْ خَافوا بالحَرىِّ مِنَ الذِى يَقدِرُ أنْ يَهلِكَ النفسَ والجَسَدَ كليْهمَا فِى جَهَنّمَ.[5]

(٣) الإيمَانُ والرّجَاءُ والمَحَبّة ولكِنّ أعْظمَهُنّ المَحَبّة.. اختارَ يَسُوعُ تلاميذهُ ليُرْسلهَمْ إلى العَالم. لقدْ جَاء بإنجيل يُوحَنا الأصْحَاح السّادِس أنّ بطرُسَ أعلنَ إيمَانَهُ قويّا بقولِهِ لِلرّبِّ يَسُوعَ: يَا رَبُّ إلى مَنْ نذهَبُ؟ كلامُ الحَيَاةِ الأبديّةِ عِنْدكَ. ونَحْنُ قدْ آمنّا وعَرَفنَا أنّكَ أنْتَ المَسيحُ ابْنُ اللهِ الحَىّ. ولكِنّ إعْلانَ إيمَانَهُ لم يكن كافِياً لِحَمل رسَالة المَسيح إلى العَالم. وبالأصْحَاح الحادى والعشرين سَألَ الرّبُّ بُطرُسُ ثلاثَ مَرّاتٍ: أتحبّنِى؟. فأجَابَه قائِلاً: يَا رَبُّ أنْتَ تَعلمُ. أنْتَ تعْرفُ أنّى أحبّكَ. قالَ لهُ يَسُوعُ ارْعَ غنَمِى. إنّ تبَعيّة يَسُوعَ وخِدْمتهُ تستلزمُ أنْ نحبّهُ مِنْ كلّ القلبِ.

عزيزى القارئ.. ليتكَ تشتركَ مَعِى فِى تِلكَ الصّلاةِ: أبَانَا السّمَاوىّ.. أشكرُكَ لأنكَ لا تترُكنِى ولا تتَخلى عنّى. أنْتَ يَا رَبُّ ترسٌ لِى. مَجْدِى ورَافِعُ رَأسِى. أمْسكتَ بيَدِى اليُمنَى. برَأيكَ تهْدِينِى وبَعْدُ إلى مَجْدٍ تأخُذنِى. مَنْ لِى فِى السّمَاءِ. ومَعكَ لا أريدُ شَيئاً فِى الأرْض. هُوَذا البُعَدَاء عَنكَ يَبيدُونَ. أمّا أنَا فالاقتِرَابُ إلى اللهِ حَسَنٌ لِى.. أرفعُ صَلاتِى فِى اسْم يَسُوعَ فادِينَا البَار. مُتكِلاً على وَعدِكَ الصَادِق يَا مَنْ قلتَ: مَنْ يُقبلْ إلىّ لا أخْرجْهُ خَارجاً.

أخِى القارئ العزيز.. إنْ أرَدْتَ سَمَاعَ تِلكَ الرِّسَالةِ أو غَيرَهَا ستجدُ ذلِكَ فِى:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm

---

[1] إنجيل لوقا ٢٢: ٥٨ & ٩: ١٤ – ١٧، إنجيل متى ١٤: ٢١، إنجيل يوحنا ٦: ١٠– ١٥، رسالة بطرس الرسول الثانية ١: ١٦– ١٨
[2] إنجيل مرقس ١٤: ٦٦ – ٦٩
[3] إنجيل يوحنا ١٣: ١ ، إنجيل مرقس ١٤: ٧٠ – ٧٢
[4] سفر المزامير ١٠٥ – ١١٩ ، إنجيل لوقا ٢٢: ٦١ – ٦٢ ، إنجيل متى ٤: ٤
[5] سفر العدد ١٣: ٢٦ – ٣٣ & ١٤: ١ – ٢٥ ، إنجيل مرقس ٨: ٣ ، إنجيل متى ١٠: ٢٨